

+++++

مفهوم الديمقراطية وتاريخ تطورها

اولاً : مفهوم الديمقراطية

إن مصطلح " الديمقراطية " بشكله الإغريقي القديم تم نحتة في أثينا القديمة بالقرن الخامس قبل الميلاد، إذ إن جذور الديمقراطية وتطبيقاتها تعود إلى المجتمعات اليونانية القديمة، فالديمقراطية (democratic) مصطلح يوناني مكون من كلمتين (Demos) ومعناها الشعب، و (Croats) ومعناها حكم أو سلطة، وبذلك معنى الديمقراطية (حكم أو سلطة الشعب) أي نظام الحكم الذي يستمد من الشعب أو غالبية، ولقد دخل مصطلح الديمقراطية جميع اللغات مع بعض التحوير أحياناً وأصبح مفهومه واضحاً وجلياً، كما ان الديمقراطية أصبحت مطلباً تطمح الشعوب جميعاً إلى تحقيقه لا لغاية بحد ذاتها وإنما وسيلة لحماية حقوق الأفراد وحررياتهم، إذ إن ممارسة المواطن للديمقراطية تعني ممارسته للسلطة بشكل أو بآخر، أو تمتعه بكامل الحرية في اختيار من يمارس السلطة نيابة عنه .

والديمقراطية الأثينية عموماً ينظر إليها على أنها (من أولى الأمثلة التي تنطبق عليها المفاهيم المعاصرة للحكم الديمقراطي) ، حيث كان نصف أو ربع سكان أثينا (الذكور فقط) لهم حق التصويت ، فبغض النظر عن درجة فقرهم كان كل مواطني أثينا من الذكور الأحرار يحق لهم التصويت والتحدث في الجمعية العمومية ، كانوا (يستبعدون النساء والعبيد رغم انهم مواطنون ولكن ليسوا من الأحرار) وقد كان اسلوب أثينا القديمة في ممارسة الديمقراطية بأنهم يتخذون قراراتهم مباشرة بدلاً من التصويت على اختيار نواب ينوبون عنهم في اتخاذها، وهذا الشكل من الحكم الديمقراطي الذي كان معمول به في أثينا القديمة يسمى (الديمقراطية المباشرة أو الديمقراطية النقية) ، وبمرور الزمن تطور المفهوم الحديث للديمقراطية كثيراً منذ القرن الثامن عشر مع ظهور الأنظمة الديمقراطية المتعاقبة في العديد من دول العالم.

+++++

وعندما نتحدث عن مفهوم الديمقراطية يجب علينا ان نشير لوجود اختلاف حول مفهوم الديمقراطية ويعود هذا الاختلاف إلى وجود إشكاليات فكرية تحول دون قبول تيارات فكرية وسياسية للديمقراطية من خلال فهمها، واهم هذه الإشكاليات يتمثل في احتمالات التناقض بين الديمقراطية والاديان ، ومما هو جدير بالتأكيد ان الاختلاف حول مفهوم الديمقراطية لا ينحصر في اختلاف وجهة نظر الدولة عن المجتمع أو وجهة نظر الحكومات عن قوى المعارضة، إنما يمتد الاختلاف إلى مفهوم الديمقراطية وجدوى ممارستها والعمل من اجل تحقيقها إلى التيارات السياسية والأحزاب والحركات التي تنشئ التغيير وتعمل من اجله.

وفي تحديد تعريف للديمقراطية يرى المختصون انه لا يوجد تعريف جامع مانع للديمقراطية ولا شكل تطبيقي واحد صالح لكل زمان ومكان تأخذ به جميع نظم الحكم الديمقراطي في العالم ، وربما لن يوجد مثل هذا التعريف أو الشكل الثابت طالما استمر وجود الأمم والشعوب والمجتمعات والدول المتعددة والمرجعيات الثقافية والسياسية والتاريخ الاجتماعي ذات التجارب السياسية المتنوعة ، ولو كان للديمقراطية شكل جامد ومضمون عقائدي ثابت لما استطاع نظام الحكم الديمقراطي أن ينتشر عبر القارات ويتكيف مع مختلف الثقافات دون أن ينفى عقائد المجتمعات وقيم الشعوب المختلفة ، بل إن الممارسات الديمقراطية قد ساعدت على تنمية الثقافات الوطنية وأكدت الثوابت التي تجلها الشعوب ، الأمر الذي أدى إلى تزايد الطلب على نظام الحكم الديمقراطي من قبل الشعوب في كافة الدول غير الديمقراطية دون استثناء .

لذلك وجدنا ضرورة استعراض عدد من التعريفات لباحثين ومفكرين مختلفين في وجهات النظر من حيث المرجعيات الثقافية والسياسية والتاريخ الاجتماعي.

والبداية من التعريفات الأكثر شهرة عن الديمقراطية للرئيس الأمريكي الأسبق أبراهام لنكولن (أنها حكم الشعب بالشعب وللشعب) .

وهناك من يعرف الديمقراطية على انها في ايسر مفهومها تعني (أن يختار المحكومون نظام الحكم وحاكميهم عن طريق الانتخاب) .

وكذلك تعرف الديمقراطية على انها (نظام سياسي اجتماعي يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأ المساواة بين المواطنين ومشاركاتهم الحرة في وضع التشريعات التي تنظم الحياة العامة) .

ويعرف ميثاق الاتحاد الاشتراكي العربي الديمقراطية بأنها (توكيد السيادة للشعب ووضع السلطة كلها في يده وتكريسها لتحقيق أهدافه) .

وقد وصف الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة بطرس غالي الديمقراطية بأن (الديمقراطية ليست نمطاً ينقل حرفياً من بعض الدول ، وإنما هي هدف يجب أن تحققه جميع الشعوب وتستوعبه جميع الثقافات وقد يأخذ أشكالاً متعددة تبعاً لخصائص وظروف المجتمعات) .

ثانياً : التطور التاريخي للديمقراطية

هناك عدد من المراحل التاريخية التي لا بد من التعرف عليها لمعرفة كيف تطورت الديمقراطية عبر العصور المختلفة وسيتم تقسيمها الى مرحلتين وكالاتي:

1- التطور الديمقراطي في العصر القديم: تجسدت هذه الديمقراطية في اليونان و روما حيث ظهر التطبيق الأول للديمقراطية في بعض المدن اليونانية مثل: أثينا التي يتكون سكانها من ثلاثة طبقات هي: الأرقاء، الأجانب، المواطنين الأحرار وقد انفردت الطبقة الأخيرة دون الفئات الأخرى بممارسة السلطة في المدينة بواسطة جمعية الشعب صاحبة السلطة العليا في سن القوانين وتعيين الحكومة والنظر في المسائل الخارجية بطريقة مباشرة حيث يجتمع المواطنين الأحرار الذين بلغوا 20 سنة في هيئة جمعية شعبية لاتخاذ القرارات اللازمة لتسيير شؤون المدينة و ما

+++++

يجب ملاحظته هو أن الديمقراطية هذه كانت ضيقة تقتصر على المواطنين وتبعد الأغلبية الكبرى من النساء و الأرقاء و الأجانب فضلا عن ذوبان الفرد في الجماعة التي يمكنها تقييد حقوق الفرد وحرياته إذا كانت تتعارض مع مصلحة الجماعة ، وأن تبين لها أن وجوده سيكون سبباً في ظهور حكم فردي نتيجة تأييد مجموعة له و هو الوضع الذي ساد أيضا في روما سواء في عصرها الملكي أو الجمهوري حيث كانت تسير الدولة بواسطة اللجان و المجالس الشعبية إلى أن استأثر القياصرة على السلطة و أطلقوا يدهم في ممارستها دون قيد.

2- التطور الديمقراطي في العصر الحديث

ظهرت الديمقراطية الحديثة مع نشوء المجتمع البرجوازي الحديث بعد الثورتين الهولندية والإنكليزية في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد ظهرت خلال هذه الفترة الطبقة البرجوازية الحديثة التي قادت الثورة الصناعية العظمى ، والتي كان من أهم نتائجها ظهور الإنتاج الآلي الحديث ونشوء طبقة (البرجوازية)، فضلاً عن ظهور الآراء التي طالبت بتقييد سلطة الملوك وسن الدساتير التي حددت بعض من سلطاتهم .